



طه حسين

عميد الأدب العربي

بقلم : محمود عوض

بريشة : مصطفى حسين

الطبعة الثالثة



بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

عوض ، محمود

طه حسين عميد الأدب العربي / بقلم محمود عوض
بريشة مصطفى حسين - ط ٣ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦ .

٢٠ ص : ٢٨ سم - (نوايع العرب ١) :

تدمك : ٢ - ٧٠١٧ - ٠٢ - ٩٧٧

١ - الأدباء العرب .

٢ - طه حسين ، ١٨٨٩ - ١٩٧٣ .

(أ) حسين ، مصطفى (رسام) .

(ب) العنوان .

ديوى ٩٢٨.١

٧/٢٠٠٦/٦١

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٢٥٧١

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع

هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

طه حسين

جلس أفراد الأسرة على مائدة الطعام في منزلهم الريفي قرب مدينة مغاغة بالصعيد . وحين بدءوا يتناولون طعامهم خطر للصبي الصغير بينهم خاطر غريب ، هو أن يتناول طعامه بطريقة مختلفة عن طريقة إخوته كنوع من التجربة البسيطة التي يرضى بها حب الاستطلاع في نفسه . وتساءل الصبي : « ما الذي يحدث لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة ؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة ؟ لا شيء » .

وفعلا .. أخذ الصبي لقمة بكلتا يديه وغمسها من طبق الطعام المشترك على المائدة .. ثم رفعها إلى فمه . وما إن فعل هذا حتى أغرق إخوته في الضحك سخرية منه .. في حين اندفعت أمه تبكي شفقة عليه . أما أبوه فقد قال له في صوت هادئ حزين : « ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني .. » .

كان هذا الصبي هو طه حسين . وكان دافعه في ذلك التصرف الغريب هو حب الاستطلاع . وكانت تلك تجربة لم ينسها الصبي مطلقاً فيما بعد . ومن تلك الليلة بدأ يقيد حركاته بشيء من الرزانة والحياء لا حد له . ومما ساعده على ذلك أيضاً ما كان يسمعه من الرواة عن أبي العلاء المعري ، الذي كان من أكبر شعراء العرب في القرن العاشر الميلادي ، وكان فاقد البصر مثل طه حسين .

لقد تذكر الصبي أن أبا العلاء كان يتستر في أكله حتى على خادمه ، مخافة أن يعمل عملاً يسخر منه الناس أو يضحكون عليه . وكان هذا الحياء الشديد سبباً في اعتكاف أبي العلاء عن الناس وتفرغه للتأمل والتفكير ونظم الشعر .

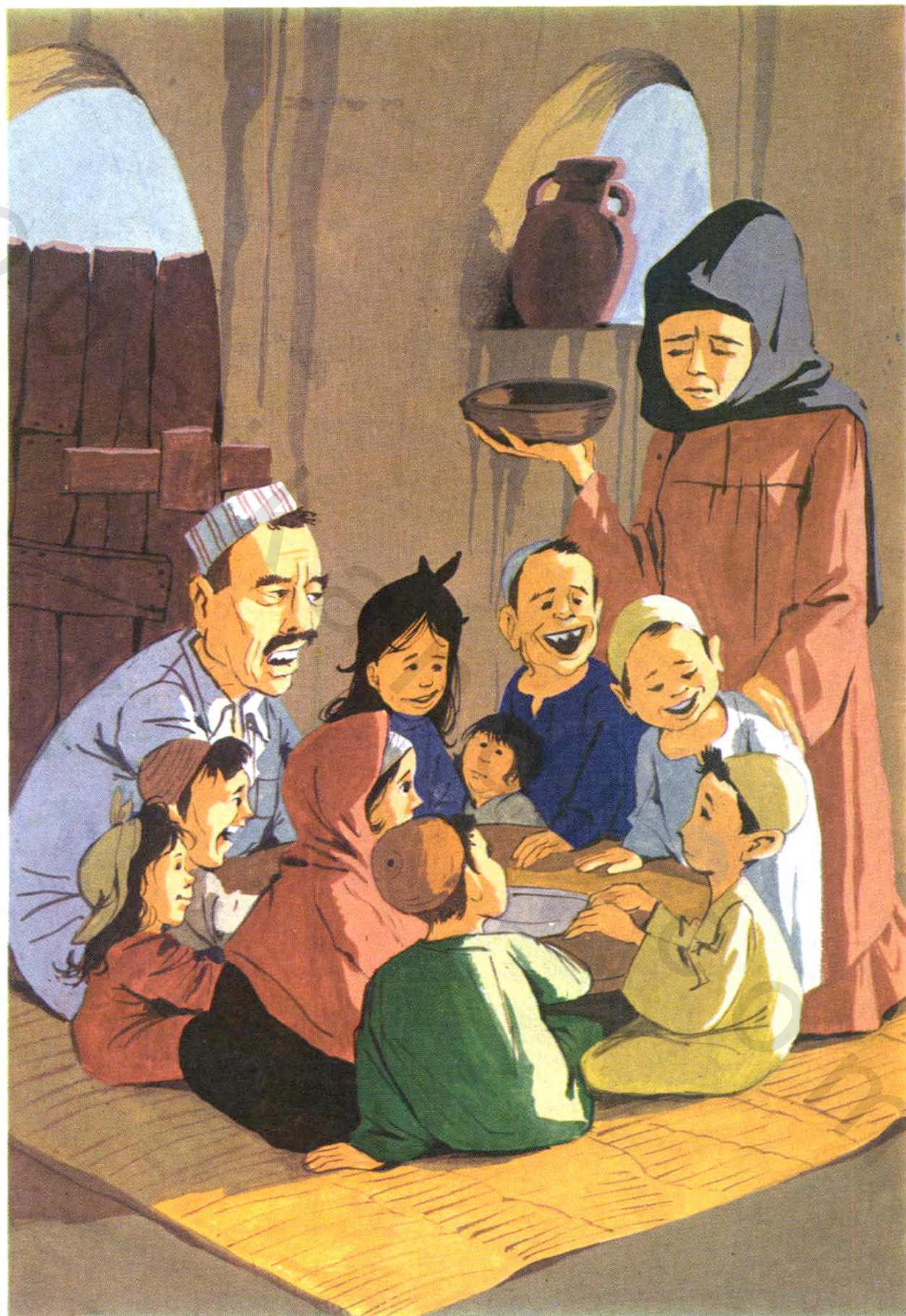
إن الصبي الصغير طه حسين لم يصبح فيما بعد شاعراً كأبي العلاء ، ولكنه أصبح واحداً من الدارسين لحياة أبي العلاء والمعجبين به .. والمؤلفين عنه الكتب العظيمة المفيدة .

ولد طه حسين سنة ١٨٨٩ من أبوين متوسطي الحال في إحدى قرى مركز « مغاغة » بصعيد مصر ؛ لقد كان السابع بين إخوته الثلاثة عشر . وكان يشعر أن له بين هذا العدد الكبير من الشباب والأطفال مكاناً خاصاً ممتازاً .

كان السبب في مكانته هذه أنه فقد بصره عندما كان طفلاً صغيراً عمره ثلاث سنوات . لقد حدث هذا لطفه حسين بسبب الجهل والخرافات المنتشرة بين نساء الريف . فحينما يمرض طفل لا يفكر أحد في الذهاب به إلى طبيب لعلاجّه ، وإنما تلجأ النساء إلى « الوصفات البلدية » التي يعتقدن أنها تشفى أطفالهن . لقد أصيب الطفل الصغير طه حسين بالرمد في عينيه . ولأن أسرته كبيرة العدد . . أهمل عدة أيام قبل أن يحضر « حلاق الصحة » لعلاجّه . وكان هذا العلاج غير علمي .. وساعد على حدوث كارثة ، وفقد الطفل عينيه ، وعاش من يومها فاقد البصر . وهذا أثر العلاج المبني على الجهل .

وبحكم العادة المنتشرة في الريف وقتها .. دخل الصبي الصغير « كُتاب » القرية ، واستطاع أن يحفظ القرآن قبل أن يَم التاسعة من عمره .

وحينما تذكر طه حسين - فيما بعد - أيامه في « كُتاب » القرية كتب يقول عن معلم « الكتاب » : كان « سيدنا » جالساً على دكة من الخشب صغيرة ليست بالعالية ولا بالمنخفضة ، قد وضعت على يمين الداخل من باب الكتاب بحيث يمر كل داخل « بسيدنا » . وكان « سيدنا » قد تعود متى دخل الكتاب أن يخلع عباءته ، أو بعبارة أدق « دفيته » ويلفها لفّاً يجعلها في شكل المحدة ، ويضعها على يمينه ، ثم يخلع نعله ويتربع على دكته ، ويشعل سيجارته ، ويبدأ في نداء الأسماء .



كان التعليم في « كتاب » القرية وظيفة يقوم بها شخص واحد هو « سيدنا » . وكانت المادة الأساسية التي يلقنها « سيدنا » لأطفال الكتاب هي حفظ القرآن الكريم .

التحق الشاب طه حسين بالأزهر ، حيث تلقى في حلقاته بين سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٨ دروساً على شيوخه . لقد تضمنت دراسته علوم اللغة العربية وأصول الفقه الإسلامي وتاريخ الأدب العربي .

وطوال تلك السنوات كان يمضي الأسبوع والشهر وطه حسين « .. لا يعيش إلا على خبز الأزهر . وويل للأزهريين من خبز الأزهر ! إن كانوا ليجدون فيه ضروباً من القش وألواناً من الحصى وفنوناً من الحشرات » .

وفي سنة ١٩٠٨ انتسب طه حسين إلى الجامعة المصرية القديمة ، حيث درس على أساتذة جمعوا بين إلمامهم بالثقافة العربية القديمة وسعة الاطلاع على الثقافة الأوروبية الحديثة .

واختتم طه حسين هذه المرحلة من حياته بالحصول على أول شهادة دكتوراه منحها الجامعة المصرية في سنة ١٩١٤ . كان موضوع الرسالة هو « تجديد ذكرى أبي العلاء » .. وهي تناقش حياة الأديب العربي الكبير أبي العلاء المعري وفلسفته وإنتاجه ؛ وكان طه حسين من المعجبين به الدارسين حياته – هل تتذكره ؟

وفي سنة ١٩١٦ سافر طه حسين إلى فرنسا للدراسة ، وهناك حصل على الدكتوراه في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، وعاد من فرنسا أستاذاً بالجامعة المصرية .



ولم تكن شهادة الدكتوراه هي الشيء الوحيد الذي عاد به طه حسين من فرنسا . فهناك - حيث كان يدرس بالجامعة - تعرف على زميلة له ، اسمها « سوزان » بدأت تساعد وتقرأ له . وتطورت الزمالة إلى إعجاب متبادل ، ثم إلى حب ، ثم إلى زواج تم في ٩ أغسطس سنة ١٩١٧ .

لقد أصبح لهذه السيدة أثر عظيم في مستقبل حياة طه حسين ، وقد كتب هو نفسه عنها فيما بعد قائلاً : « لم يسر لي حب الكتب وقراءتها إلا امرأتى .. هي التي حببت لي القراءة ، وهي التي يسرت لي القراءة في اللغتين الفرنسية والعربية وما ترجم إليهما من مختلف اللغات الأجنبية » .

وفي كتابه « الأيام » عدها ملاكاً ، وقال عنها لابنته : « لقد حنا يا ابنتي هذا الملك على أبيك ، فبدله من البؤس نعيماً ، ومن اليأس أملاً ، ومن الفقر غنى ، ومن الشقاء سعادة وشفواً » .

ولما أنشئت الجامعة المصرية (الحكومية) في سنة ١٩٢٥ عين طه حسين أستاذاً للأدب العربي بكلية الآداب . وفي سنة ١٩٢٦ أصدر الدكتور طه حسين كتاباً بعنوان « في الشعر الجاهلي » . وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة هائلة كان وراءها خصومه السياسيون الذين أرادوا اتهامه بالكفر والإلحاد . وعندما انتقلت الخصومة إلى مجلس النواب (البرلمان) هدد رئيس الوزراء بالاستقالة .. فهدأت الأزمة .

ولكن .. بعد قليل عاود خصوم طه حسين معركتهم .. فقدموا ضده بلاغات إلى النيابة العامة ، ونظموا مظاهرات ضخمة تهتف بسقوط طه حسين وبضرورة معاقبته . وعندما توجهت المظاهرة إلى بيت سعد زغلول بحسابه زعيم الأغلبية استطاع سعد أن يهدئهم لأنه يريد التوفيق بين الحرية الفكرية



لطف حسين كأستاذ في الجامعة .. وتهدة خصوم طه حسين الذين تحركهم ضده أسباب سياسية لا علاقة لها بالكتاب الذي أصدره .

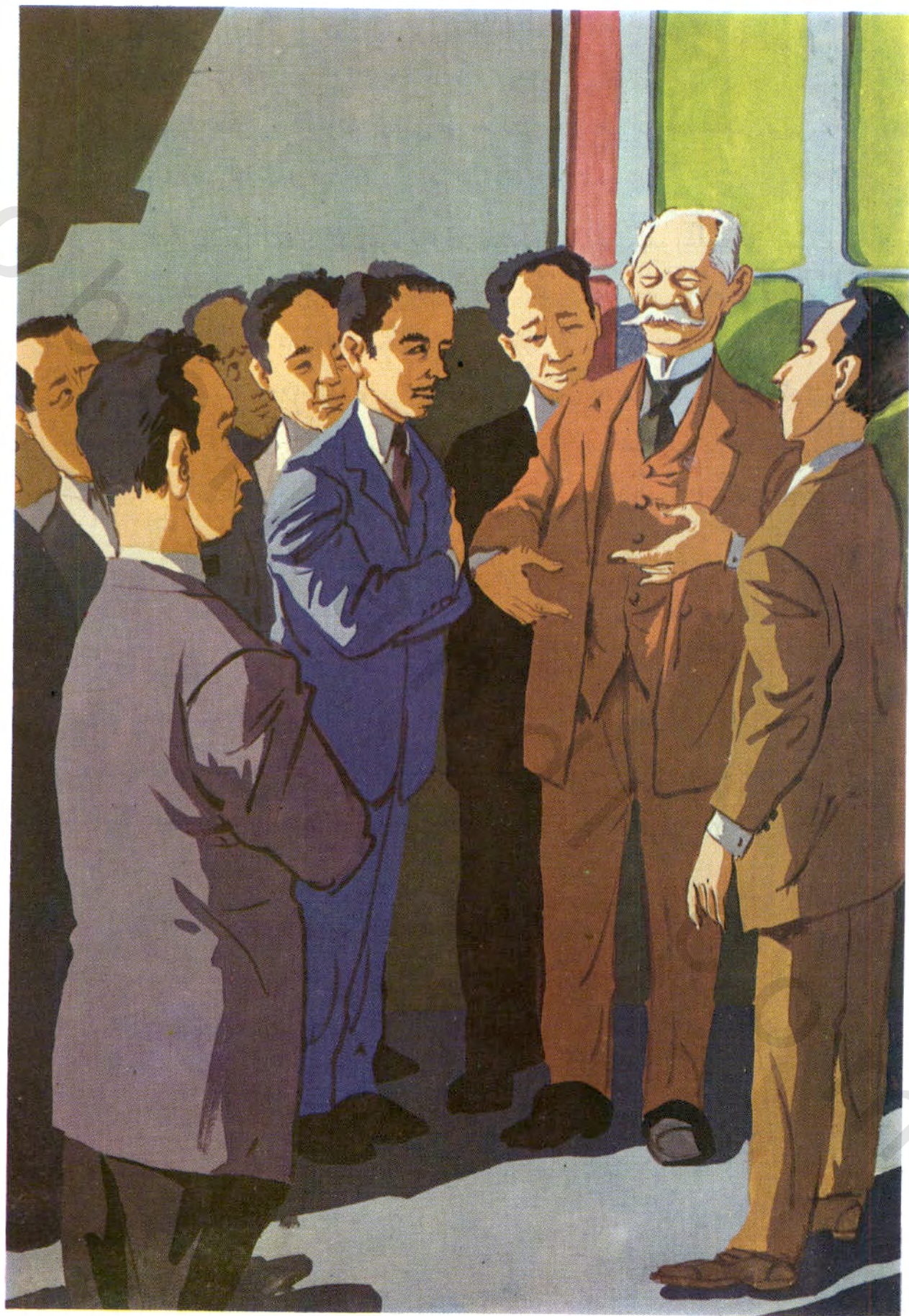
وانتهت الأزمة بسحب الكتاب من السوق ، وإعادة إصداره بعنوان جديد هو « في الأدب الجاهلي » بعد أن حُذِفَ منه فصل وأضيفت إليه فصول جديدة .

وفي سنة ١٩٢٨ عين طه حسين عميداً لكلية الآداب . فأدى هذا القرار إلى أزمة سياسية جديدة . لقد تدخل وزير المعارف لمنع تعيين طه حسين عميداً بسبب تعاطف طه حسين مع حزب سياسي آخر غير الحزب الذي ينتمى إليه الوزير . ولقد وصلت الأزمة إلى قممها عندما طلب الوزير من طه حسين أن يستقيل . . وقبل الدكتور طه الأمر بشرط أن يعتمد الوزير أولاً قرار تعيينه . وفعلاً . . تم تعيين طه حسين عميداً لكلية الآداب . وبعدها بيوم واحد قدم استقالته ، وأعيد العميد الفرنسي للكلية . وكان اسمه « ميشو » .

في مارس سنة ١٩٣٢ أصدر مجلس الوزراء - بعد اجتماع طويل - قراراً بإحالة طه حسين إلى التقاعد ، وكان قد نقل من قبل من عمله كعميد لكلية الآداب ، وهو العمل الذي قام به منذ سنة ١٩٣٠ ، إلى عمل آخر في وزارة المعارف (التربية والتعليم) .

لقد كان هذا القرار العنيف نهايةً لأكبر مأساة سياسية عاشها طه حسين في حياته .

وقصة هذه المأساة بدأت عندما شكل رئيس الحكومة حزباً جديداً أسماه « حزب الشعب » ، وقرر



إصدار جريدة تنطق بلسان الحزب ، وعرض على طه حسين أن يستقيل من عمله الجامعي لرأس تحرير الجريدة ، فرفض طه حسين هذا الطلب ، وأصر على رفضه .

كان السبب في ذلك أن الملك فؤاد أراد أن يجعل من هذا الحزب يده الحديدية التي يضرب بها الشعب ، وأن يجعل الحكومة وسيلته في مصادرة حرية الناس . لهذا رفض طه حسين أن يتعاون مع الحزب الحديد ، ورثيسه الذي كان رئيساً للوزراء .

وفي فبراير سنة ١٩٣٢ طلب وزير المعارف من طه حسين بناء على رغبة الحكومة ، أن يقترح على مجلس كلية الآداب منح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لعدد من كبار الأعيان ، لأن الحكومة تريد أن تكافئهم على ولائهم السياسي لها . ويومها رد طه حسين على وزير المعارف قائلاً :

— يا باشا .. إن عميد كلية الآداب ليس عمدة .. تصدر إليه الأوامر من وزير المعارف . أنا لا أوافق على إعطاء الدكتوراه الفخرية لأحد لأنه من كبار الأعيان ، ولا أستطيع أن أعرض الأمر على مجلس الآداب .. لأن المجلس لن يوافق .

فأصدر وزير المعارف في ٣ مارس سنة ١٩٣٢ قراراً بنقل طه حسين إلى وزارة المعارف عقاباً له على موقفه . فنفذ طه حسين النقل ، لكنه رفض العمل ، فتطورت الأزمة ، وقامت مظاهرة ضخمة انتهت باجتماع عقده مجلس الوزراء ، وأذاع رئيس المجلس قراراً في ٢٩ مارس بإحالة الدكتور طه حسين إلى التقاعد .

تعلم طه حسين درسين هامين من خلال أزمته : فأولاً — لا بد من توفير الحرية الكاملة للبحث والدراسة داخل الجامعة . وثانياً — لا بد من نشر التعليم بين فئات الشعب حتى لا تنخدع بالشعارات البراقة التي يرفعها السياسيون .



أما عن الدرس الأول ، فقد بدأ طه حسين يدعوه في مقالاته المختلفة في المجلات والصحف ، وفي المحاضرات والندوات ، وأما عن الدرس الثاني فقد بدأ طه حسين يطالب بمجانية التعليم لكل فئات الشعب ، لأن التعليم ضرورى للناس ضرورة الماء والهواء . وبدأ أيضاً ينبه إلى المشكلات الحقيقية التى يعانىها الشعب .

لقد كتب طه حسين مرة بعد خطبة رئيس الوزراء التى حدد فيها برنامج الحكومة – وكانت تسمى « خطاب العرش » .

– كتب يقول : « كانت رائعة بارعة خطبة العرش التى ألقاها رئيس الوزراء فى البرلمان . صورت لنا الحياة المصرية كأحسن ما تكون الأمم : حكومة جادة لا تنام ولا تنيم ، وشعب عامل لا يريح ولا يستريح ! وقد رضيت الحكومة عن نفسها فأثنت على نفسها . ورضى البرلمان عن الحكومة فصفق للحكومة ، وسمع الشعب للحكومة تقول وللبرلمان يصفق . فرفع الأكتاف وهز الرؤوس ، وترك الخلق للخالق ، وأقبل المترفون على ترفهم ينعمون بغير حساب ، وأقبل المحرومون على حرمانهم يألمون بغير حساب ... وفى أثناء هذا كله ، كان المواطنون يموتون مئات ، ويمرضون مئات ... وفى أثناء هذا كذلك كانت ملايين من المواطنين تنعم بالجهل الذى يحجب عنها حقائق الحياة ! » .

وبدأ طه حسين يضاعف من حملته لتعليم المرأة ، وافتتح باب التعليم الجامعى أمامها ، لأنها نصف الأمة . وكان طه حسين من قبل هو أول من اقترح على مدير الجامعة (أحمد لطفى السيد) أن يقبل الفتيات فيها لأول مرة ، وأن يتم إعفاؤهن من دفع الرسوم لتشجيعهن على الالتحاق بالجامعة . وقد توسع طه حسين فى ذلك عندما أصبح هو نفسه مديراً لجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٢ .



ونادى طه حسين بمجانبة التعليم لكل طبقات الشعب . وظلت صيحته تضعع هباء إلى أن عين وزيراً للمعارف في يناير سنة ١٩٥٠ ، فقرر مجانية التعليم الثانوى والتعليم الفنى .. ثم حاول أن يجعل التعليم العالى هو الآخر مجانياً . فرفض الملك فاروق .

لقد استمر طه حسين وزيراً للمعارف سنتين ، استطاع خلالهما أن يطبق جزءاً من الآراء التى يؤمن بها . ولكنه مع ذلك لم يسلم من الخصومات السياسية التى تحركت ضده . وفى مرة ذهب يزور إحدى المدارس الثانوية ، فنظم خصومه السياسيون مظاهرة تهتف بسقوطه قائلة : يسقط الوزير الأعمى ..

ويومها رد عليهم طه حسين قائلاً : إننى أحمد الله أن جعلنى أعمى .. حتى لا أرى وجوهاً مثلكم !

استطاع طه حسين أن يتناول فى كتاباته موضوعات كثيرة .. ومجالات شتى كان من بينها القصة . اقرأه مثلاً فى قصة « شجرة البؤس » وهو يحلل أزمة بطل القصة التى يواجهها بعد أن تعددت زوجاته : « .. فقد كثر نساؤه ، وأخذ ولده يكثرون ، وأخذت النفقة تزداد وتثقل أعبائها ، وأخذت الحاجات تكثر وتنوع وتتعدد والربح يذوب فى هذه الأسرة الكبيرة كما يذوب الملح فى الماء .. وحياته مطردة مضطربة : تجارة أول النهار ولغو آخره . . . ثم العودة إلى داره ليقضى بقية الليل عند هذه لا تلك من نساؤه ، يسمع منها أبغض ما يسمع الرجل من امرأته : شكاة من هذه ، ونعياً على تلك ، وعيباً للثالثة وثناء على نفسها ، ثم إلحاحاً فى التسوية بينها وبين ضرائرها ، فقد أهدى إلى هذه ما لم يهد إليها مثله . وزعمت تلك أنه ترك من النقد كذا وكذا درهماً على حين أنه يبيت عندها ولا يترك لها شيئاً . وإنها لتلتبس المليبات تشتري بها الحلوى لصبيها البائس فلا تجدّها ، فيظل ابنها محروماً ينظر إلى أبناء الضرائر

وهم فرحون بما في أيديهم من الحلوى وما في جيوبهم من ألوان النمل .

« وعلى هذا النحو تنغص عليه ليلته حتى ينتظر الصبح أشد ما يكون إليه شوقاً . فإذا سمع صوت المؤذن أسرع إلى وضوئه وصلاته ، يظن أن التقوى هي التي تدفعه إليهما ، وما كان يدفعه إليهما إلا الهرب من هذه الحياة البغيضة » .

لقد كتب طه حسين في القصة : « شجرة البؤس » و « الحب الضائع » و « دعاء الكروان » و « صوت باريس » .. وكتب في الأدب والنقد مؤلفات كثيرة كان من بينها « مع أبي العلاء في سجنه » ، الذي أعجب به طه حسين منذ طفولته ، وكتب في التاريخ الإسلامي « على هامش السيرة » و « الوعد الحق » و « الشيخان » و « عثمان » و « علي وبنوه » وكتباً أخرى تنوعت في موضوعاتها وفي ألوانها .

على أن أشهر ما كتبه طه حسين هو كتابه « الأيام » .. الذي سجل فيه قصة حياته وسيرته الذاتية . وقد ترجم هذا الكتاب إلى بعض اللغات الأجنبية .

قال الأديب الكبير محمود تيمور إن طه حسين : « فكر مستقل ، وروح خيرة ، وصبغة فنان » . وقالت عنه إحدى تلميذاته في الجامعة : « لقد علمنا طه حسين شيئاً أكبر جداً مما وجدناه في الكتب » وأطلق عليه معاصروه لقب « عميد الأدب العربي » . كما ترجم عدد من مؤلفاته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية والفارسية . وقامت جامعات أجنبية في أوروبا بمنحه شهادة الدكتوراه الفخرية تكريماً له وتقديراً لما ترجم من أعماله .

وقد كان أكبر تكريم لطفه حسين أن الدولة منحته أرفع وسام وكرمه أحسن تكريم وقام رئيس الجمهورية - في عيد العلم - بتسليمه جائزة الدولة التقديرية في الأدب .

طبع بمطابع دار المعارف

obeikandi.com